مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
المجلد: 16، العدد: 02، ديسمبر 2025 ص ص 287 - 306
ر ت م د (ISSN): 2170-1822-/ر ت م د إ (E-ISSN): 2600- 6189

التاريخ الإسلامي: مقاربة جديدة من منظور غربي

Islamic History: A New Approach in Light of Western Studies

د. مسعود مكيد♦

جامعة البليدة 2 (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 17/ 09/ 2025 ؛ تاريخ القبول: 20/ 10/ 2025 ؛ تاريخ النشر: 15/ 12/ 2025

الملخص باللغة العربية:

تنحصر مشكلة دراسة التاريخ الإسلامي في مسألتين جوهريتين تتعلقان بالمصادر وأدوات البحث بشقيها التقليدي والمعاصر، وهو ما يمثل العقبة الكؤود في مجمل الدراسات المنجزة إلى اليوم حول تاريخ أو تاريخ الإسلام ككل. وبما أن دراسة التاريخ الإسلامي اختلفت سماتها وطرائقها من حيث المنهج والتحليل بين الدرس الإسلامي الذاتي وبين الدرس الغربي الاستشراقي، فإن الحاجة إلى البحث المتجدد في هذا المجال التاريخي والمعرفي أصبح ضرورة علمية، وهو ما حرص عليه الباحث والمؤرخ الأمريكي ستيفن هامفريز، الذي حاول أن يقدم مقاربة تحليلية لمصادر التاريخ الإسلامي ومشكلات البحث فيها برؤية مستجدة أكثر انفتاحا وموضوعية ودقة عن عموم ما تميزت به الدراسات الغربية. تقوم الإشكالية المحورية لهذه الدراسة حول طبيعة المنهج التصوري الجديد الذي قام عليه مشروع هامفريز في دراسته التاريخية، وجدية التساؤلات والفرضيات الجديدة في دراسته لمصادر وأدوات البحث داخل التاريخ الإسلامي، إلى جانب طبيعة المحددات الجغرافية والمفاصل الزمنية المختارة التي قام عليها مشروع ضخم مثل هذا. كما تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على مدى جدية هذا العمل الغربي حول التاريخ الإسلامي ومدى مغايرته لسائر الدراسات الغربية منها أو الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: تاريخ إسلامي؛ مصادر؛ مشكلات؛ ستيفن هامفريز؛ مستشرقين.

♦ د.مسعود مكيد

Abstract:

This study examines the challenges inherent in the study of Islamic heritage, particularly the dual issues of source material and research tools, both traditional and modern, which have long hindered scholarship in the field. Against the backdrop of methodological divergence between Islamic and Western orientalist approaches, it explores the project of American historian Steven Humphreys, who sought to advance a more rigorous and objective analytical framework for engaging with Islamic historical sources. The study analyzes the conceptual foundations of Humphreys' work, evaluates his hypotheses and research questions, and considers his geographical and chronological frameworks, with the aim of assessing its scholarly significance and situating it within broader debates in both Islamic and Western historiography.

Keywords : Islamic Heritage, Steven Humphreys, Sources, Islamic History, Orientalism, Historiography, Islam, West

مقدمة:

ما تزال دراسة التاريخ الإسلامي بكل مكنوناته ومفرزاته من الدراسات المحفوفة بمعوقات وصعوبات جمة متعلقة أغلبها بأسباب شكلية ومنهجية، ذلك أنها تقوم في عمادها على معالجة كم هائل من المصادر والمراجع الوفيرة التي ألفها جيش من الكتاب والمؤلفين القدامى في مجالات شتى من الأدب والفقه والعقيدة واللغة والسيرة والحديث وتراجم الرجال وتاريخ المدن والعمران والإنشاء الوثائقي، مضافا إليها ذلك الكم اللاحق من الدراسات المتخصصة والمتنوعة التي قام بها أيضا لفيف معتبر من المتخصصين من داخل وخارج الدائرة الإسلامية على غرار المستشرقين الذين تركزت دراساتهم وأبحاثهم حول المصادر الأم تحقيقا وتنقيحا إلى جانب معالجات واسعة تتعلق بالأصول والمناهج العلمية المعتمدة في دراسة التاريخ الإسلامي ومصادره، مما يجعل من مهمة دراسة هذا التاريخ مهمة غاية في المشقة والتعقيد، فمثل هذا التاريخ المرتبط في منطلقاته وحتى نتائجه بدين متكامل المنهج كالإسلام يقدم تحديات كبيرة وصعوبات معتبرة حتى بالنسبة لباحثين متخصصين ومحترفين فضلا عن المبتدئين ممن يجدون دوما صعوبة في التعامل مع رصيد هائل ومتشعب وغني جدا لتاريخ لا يمكن إستيعاب شبكته الزمانية

والمكانية ضمن فضاء جغرافي ممتد وواسع جدا بما لا يقارن مع أي حضارة أخرى، بالإضافة إلى ثراء المصادر فيه والتي مهما إحترف معها الباحث فإنه لن يتمكن بأي حال من الأحوال من عملية مسح وتغطية كاملة لها. في هذا الإطار المعرفي المعقد حاول الباحث الأمريكي ستيفن هامفريز أن يقدم مقاربة جديدة ومتطورة في معالجتها حول التاريخ الإسلامي مستفيدا من ذلك الكم الكبير من الدراسات السابقة عنه والتي تركزت بالدرجة الأولى حول طبيعة وأصالة مصادره كما تركزت أيضا حول الجوانب المنهجية والاشكالات المعرفية المتعلقة بأهم مفاصله وحدوده التي انعكست على جميع مراحله اللاحقة. من هنا فإن الإشكالية المحورية لهذه الدراسة تقوم على مساءلة المنهج التصوري الجديد الذي قام عليه مشروع هامفريز في دراسته التاريخية، وما هي طبيعة التساؤلات والفرضيات الجديدة التي قام عليها تصوره للتاريخ الإسلامي من منظوره الغربي الخالص. كما تشمل هذه الإشكالية طبيعة المحددات الجغرافية والمفاصل الزمنية المختارة التي قام عليها مشروعه المتكامل نحو تصور جديد للتاريخ الإسلامي. وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على مدى جدية هذا العمل الغربي حول التاريخ الإسلامي ومدى مغايرته لسائر الدراسات خاصة على مستوى البحث الذاتي الإسلامي.

1. التاريخ الإسلامي من منظور غربي:

لا شك أن مرحلة إنسانية هامة كمرحلة البعث الإسلامي والتي بدأت من فترة النبوة لا يمكن أن تمر هكذا دونما تأثير وتأريخ لهذه المرحلة وما نتج عنها من علوم وفكر عبر قرون طويلة ممتدة حتى زمننا هذا، هذه الفترة الزمنية الطويلة التي أثمرت عن أعمال وفيرة غطت أغلب مناحي الحياة في المجتمع الإسلامي على مدار عهود طويلة وفي نقاط مختلفة منه على إمتداد خريطته الواسعة والتي نتج عنها بدورها دراسات تحليلية ونقدية صدرت عن علماء أفذاذ نقحوا ودققوا هذا التاريخ في أسلوب علمي رصين ومنهج فكري فريد. أما الدراسات التي صدرت من خارج هذا الجسد التاريخي الضخم والتي نعني بها أعمال غير المسلمين فهي تكاد تكون الأكثر والأوفر في العصر الحديث والتي قدمت رؤية جديدة ومغايرة للطروحات الإسلامية المعتادة فيه، خاصة مع وجود الظاهرة الاستشراقية التي دفعت بالكثير من علماء الغرب إلى دراسة أوضاع العالم الإسلامي قديما وحديثا، مرة لفهمه ومرة للسيطرة عليه أكثر، وأيا كانت الدوافع فإن النتائج كانت كثيرة ومتداخلة وما تزال تطبع روحها في رؤيتنا إلى كثير من المسائل في التاريخ الإسلامي. وإن كانت الكثير من هذه المساهمات ما يزال يكتنفها أيضا شيء من الغموض والمواربة وفي كثير من الأحيان الجهل بها، وهو الأمر الذي يحرم الباحث عموما داخل هذا التاريخ من الرؤية الشاملة والدقيقة. فرصيد المؤلفات والمؤلفين من أعمال غربية حول التاريخ الإسلامي

يكاد يكون مهولا وواسعا، خاصة حول فترات زمنية بعينها أو مسائل معقدة فيه لم تحير فقط علماء الغرب ولكنها أيضا أسالت الكثير من الحبر وأثارت الجدل عند علماء الإسلام أنفسهم، هذا الرصيد الغربي الجديد أصبح هو الآخر في حاجة إلى مسح وتغطية، لتقديم صورة أعمق وأشمل عن هذا التاريخ من داخل جسده وحتى خارجه لعلنا نصل بذلك إلى بناء أو إنشاء تركيبي مقنع ومتكامل لجسد التاريخ الإسلامي ككل. خاصة وأن دراسة هذه الأعمال والإطلاع عليها تكاد تشكل أهمية كبيرة في العصر الراهن لأنها ربما تقربنا من الوصول إلى منهج جديد ومتطور للتعامل مع مجال واسع ومعقد كالتاريخ الإسلامي وهذا من خلال تلك الدراسات الغربية الكثيرة حوله والتي حاولت تطوير طرق جديدة من التساؤلات والنقاشات للوصول إلى أجوبة أعمق مما هي لدينا بالإضافة إلى طرح فرضيات جديدة حول التاريخ الإسلامي. كل هذه الدراسات وكيفما كانت فإنه ليس الدافع منها في هذا البحث تحليل جدية نتائجها أو عمق أطروحاتها ولكن الهدف الأساسي هو محاولة تغطية جديدة لها وإستكشاف أكبر قدر من هذه الأعمال وتحديد حيثاتها وقرب موضوعاتها من موضوعات التاريخ الإسلامي. وربما تكون الحاجة إلى رؤية مختلفة لهذا التاريخ للوصل إلى نتائج جديدة فيه من خلال أبحاث غير السملين هي التي أصبحت تفرض على الباحث المسلم النظر في هذه الأعمال أو على الأقل الإطلاع عليها، لأنها بلا شك تحمل وجهة نظر أخرى قد لم يسبق معرفتها أو الوقوف عليها. من هنا كانت الضرورة إلى عملية مسح أو تغطية لأعمال تمت من خارج هذا الجسد التاريخي وهي كثيرة وتستحق الإلمام بها.

وأهم ما يمكن ملاحظته في هذا المجال الإنساني الحيوي هو تشكابك موضوعاته أيضا وتداخل عناصرها إلى درجة تجعل العملية التحليلية فيه عملية معقدة وصعبة لا تخلو من تحيز أو تحامل أو بعد عن الحقيقة كلها في بعض الأحيان (عابد الجابري، 1991: 45). لكن هذا لم يكن مستحيلا أبدا، خاصة بعد التطور الإنساني في مجال الطباعة والفهرسة وظهور علم المكتبات وتوفر آلاف المراجع وتحقيقها، إلا أن كل هذا التطور الحاصل الآن لم يساهم كثيرا في تقديم رؤية جديدة أو قراءة أوسع لموضوعات التاريخ الإسلامي الذي لا يزال يعاني من ثغرات ملموسة لم يكتنفها البحث العلمي الجيد رغم بعض الجهود المتميزة التي يبذلها بعض الباحثين الغربيين لكنها تبقى تقدم رؤية أخرى غربية قد تجانف الحقيقة في كثير من هذه الموضوعات الشائكة (عابد الجابري، 1991: 58).

يعترف الكثير من المستشرقين بأن السر وراء الثراء الفكري الهائل في المنتج الإسلامي عبر التاريخ يعود إلى شمولية المشروع الإسلامي الذي حاول أن يقدم من خلال كتبه المقدسة (القرآن والسنة) نظرة كاملة لحياة المسلم عامة في المسجد وخارجه والتي

تولدت عنها نظريات فقهية وإجتماعية وسياسية وتوالت عليها آلاف الكتب التي إختلفت موضوعاتها بين التحليل وبين التقعيد لمناهج متنوعة في شتى العلوم والفنون الإسلامية (Stephen Humphreys, 1995: 56). ورغم أنهم لا يعترفون في الظاهر بقدسية هذه الكتب إلا أنهم يسلمون بمدى التنوع والشمول التي تتميز بها والتي إنعكست في حياة المسلمين بشكل واضح وإنعكس معها فكر أمة بأكمله فكان ذلك النتاج الفكرى والديني الضخم الذي جعل الموروث العقلي لهذه الأمة يكاد يكون أعظم موروث إنساني بما هو غني به من مؤلفات لا تحصى أو تعد في مجالات أيضا يصعب حصرها.

لقد وجد المستشرقون في التاريخ الإسلامي مادة غنية جدا للدراسة والبحث ليس فقط في المجال التاريخي ولكن في مجالات لا تزال تشهد جدلا واسعا وتبحث عن إجابة لتساؤلات وفرضيات حية حول موضوعات شائكة جدا في الفقه مثلا والحديث والتفسير وغيرها من العلوم الشرعية التي تنوء بنظريات كثيرة لا يزال لها مدلولات في حياة الناس وإن كانت لا تزال طي الكتب ولا يعرف لها الواقع تطبيقات عملية إلا أنها لا تزال تفرض حضورها في الفكر الإسلامي والغربي المعاصر. ما نتج من دراسات غربية عن هذا التاريخ الهائل أصبح يمثل رصيدا جديدا له وأصبح هو الآخر علامة أضيفت له مهما كانت طبيعة هذه الدراسات موضوعية أو متحاملة منتقصة كما هو واضح في أغلب هذه الدراسات، لكن هذا ليس هو الشأن مع البحث العلمي النزيه.

2. التاريخ الإسلامي بين التدوين والمصادر:

1.2 التدوين المبكر

لا يزال الغموض والتضارب حول مصادر وبدايات التدوين والتأسيس لمنظومة التاريخ الإسلامي في جميع علومه ومواده مستمرا وملاحظا ليس فقط على مستوى كلاسيكي قديم ولكن حتى على مستوى الدراسات اللاحقة والحديثة التي ما تزال تميل في جوهرها إلى نظرية شفهية ترى بأن عماد الرواية الكلاسيكية الإسلامية يعود بالدرجة الأولى إلى مصدرية شفوية خالصة امتدت حتى القرن الثاني (إجناس جولدتسيهر، 1988: 22)، وهو الرأي الذي عادة ما يتبناه جمهور المستشرقين وتتبناه المدرسة الغربية رغم وجود بعض التأكيدات العلمية التي قدمها الدرس الغربي نفسه حول مسألة التدوين الإسلامي المبكر خاصة فيما يتعلق بتدوين الحديث وبعض مظاهر التأليف المؤسس على مصدرية تدوينية سابقة كما هو الشأن مع السيرة النبوية التي تعتبر من النماذج الجدلية التي تعكس حقيقة التدوين المبكر للرواية الإسلامية (Fred. Donner, 1998: 36) ، وهو الاتجاه الذي قاده المستشرق الألماني شبرنجر والذي عبر عن رأيه بوضوح في مصادر

المؤلفات العربية القديمة التي قامت مادتها مشفوعة بالأسانيد والإحالات على مؤلفات سابقة مما يؤكد على فكرة التدوين المبكر، فالطبرى مثلا كان -في رأي شبرنجر- يستمد مادته التاريخية من الكتب وينقل اقتباساته النصية منها (فوت سيزكين، 1991: 3).

ولعل هذا الخلاف حول المصادر الأولية للتاريخ الإسلامي يعود في جذوره إلى القضية المحورية المتأسسة في التدوين الديني برمته والمتعلقة ببدايات تدوين الحديث الذي وقع حوله سجال طويل خاصة على المستوى الاستشراقي بقيادة جولدتسيهر بصفته الرائد في هذا المجال رغم أن جولدتسيهر في الكثير من مناقشاته بعيدا عن رواية الحديث قد أكد على صحة الاتجاه الذي قاده شبرنجر وغيره فيما يتعلق بصحة وموثوقية المصادر المدونة باكرا (فوت سيزكين، 1991: 3). ولكن أكثر ما يمكن أن يكون مرتبطا بعملية التدوين الكلاسيكي عند المسلمين هو مجال السيرة النبوية الذي يمثل المفتتح الحقيقي لظاهرة تدوينية موثوقة خضعت لشروط موضوعية ونقلية سابقة ربما لأي ظاهرة تأريخية في أمة من الأمم، ذلك أنها تجسدت في مجموعة من المؤلفات التي اعتمد مؤلفوها على أسانيد متصلة ومتسلسلة وإن قامت ربما في أساسها على رواية شفوية (محمد الأعظمي، 1976: 47). كما أن الإحساس التاريخي بأحوال البلاد والملك أو الوطن عموما عند العرب بعد نشوء دولتهم ودخولهم نطاق التاريخ، دفعهم إلى الاهتمام بالكتابة التاريخية التصحيحية، والتي تزامنت مع بداية الدولة العباسية، حيث بدأ العلماء يصنفون الكتب حول الوقائع والحروب والغزوات والفتن والتي صاحبها أيضا مؤلفات تهتم بتحليل تلك الوقائع وتعليلها ووضع الأمور في نصابها التاريخي وإرجاعها إلى أصولها ونسبها (كارل بروكلمان، 190: 8).

وقد حظيت دراسة التاريخ الإسلامي في عمومه بمقارنات علمية وجيهة في أطروحاتها مع أنواع أخرى من التاريخ الإنساني الآخر على غرار التاريخ اليوناني والتاريخ البيزنطي الروماني، حيث شملت هذه المقارنات مجالات واسعة من العلوم والفنون، مثل الشعر والتاريخ والمنظومة التشريعية القانونية، رغم أن النصيب الوافر منها اتجه إلى الظاهرة الشعرية بكل أبعادها والتي شملت على وجه الخصوص الشعر عند العرب وحقيقة مصادره باعتباره الوعاء الأدبي اللغوي الذي سبق القرآن (طه حسين، 1990: 14).

2.2 دراسة المصادر

لا تتسم أعمال الغربيين حول التاريخ الإسلامي بالشمول كما هو عادة الدارسين العرب أو المسليمن لمجمل هذا التاريخ، ذلك لأن هذا النوع من الدراسات الشمولية شاق وممل كما أنه لا يمثل لهم مجالا حيويا للبحث والوصول فيه إلى نتائج جديدة، فهو لا

يعني لهم سوى إجترار للأحداث أو الدوران في حلقة مفرغة لأن الهدف الأساسي بالنسبة لهم هو الوقوف على ظواهر تاريخية وفكرية وتحليل أبعادها في حياة المجتمعات قديما وحديثا وهذا هو الذي يجعل موضوعاتهم دائما تتركز حول قضايا بعينها في هذا التاريخ. من هنا كان التفاوت واضحا بين هذه الدراسات وكبيرا لأنهم يواجهون تاريخا غنيا بالمصادر، معقدا بالرؤى ووجهات النظر، متشابكا في الزمان والمكان، وهو تاريخ مخيف فعلا يمنع أي باحث من التوغل فيه دون صعوبه أو إنحياز، لكن كل هذا لم يمنع البعض منهم من تقديم رؤية واضحة ومحادية أحيانا حتى حول مواضيع شائكة ومعقدة جدا (ككتابة القرآن والحديث، وقضية المعاهدة مع اليهود، وفتنة عثمان، وولاء الفقهاء للدولة، وظاهرة ابن تيمية، ...الخ) (Stephen Humphreys, 1995:).

من هنا فإن الطابع العام لأغلب دراسات المستشرقين والغربيين عامة للتاريخ الإسلامي يتميز بجانب إنتقائي لموضوعات بذاتها مثل التي أشرنا إليها سالفا. فمن الواضح أنها تتركز على دراسة المصادر الأم بالدرجة الأولى لأنها منبع الخلاف وما نشأ عنها من توجهات وأسس لثقافة ما أو مبدأ سياسي أواجتماعي. فكتابة القرآن مثلا تعتمد على رواية تاريخية وتسلسل زمني أصبح هو المقياس في صحة هذا المصدر المهم في حياة المسلمين والذي أصبحت جل الدراسات تتفق على نتائجه رغم المحاولات اليائسة لبعض الأعمال التشكيكية فيه مثلا (Patricia Cron, 1977: 56). إذا كان هذا هو الحال مع ظاهرة القرآن التي لم يسلم فيها بعض المستشرقين بصحة كتابته ومصدريته السماوية فإنه مما لا شك فيه أن لا يسلموا بنتائج أو ربما حقائق تتعلق بموضوعات أخرى متداخلة مثل كتابة الحديث أو صحة وثيقة المدينة أو النظر في أسباب الخلاف السياسي والفقهي للأمة الإسلامية بموضوعية.

هذا التوجه المنطقي لعلماء الغرب في دراسة التاريخ الإسلامي هو الذي يجعل إستيعاب هذا المجال ككل مسألة صعبة ومستحيلة أحيانا، لكنهم بأي حال من الأحوال ليسوا مطالبين بإكمال الثغرات التي خلفتها دراستهم لهذا التاريخ الذي هو بالدرجة الأولى تاريخنا ويكفينا أنهم وضعوا بدراساتهم تلك أصابعنا على أهم ملامح التاريخ الإسلامي الذي يبقى استيعابه ككل مسألة منوطة بنا نحن المسلمين.

إذا فهمنا هذا الأمر فإنه يصبح من اليسير علينا أن نفهم سر إقتصار الغربيين على دراسة مسائل بعينها في التاريخ الإسلامي. ولعله من الإنصاف أن نقول أن الدراسات الغربية لهذا التاريخ كادت تغطي أهم الجوانب فيه (إدوارد السعيد، 1978: 55)، والتي تبرز بإستمرار في حياة هذه الأمة. وهذا هو العامل المشترك الذي قد يجمعنا بهذه الدراسات التي لو إكتمل العلم بها والنظر في نتائجها فإننا قد نشكل صياغة جديدة وفريدة

لهذا التاريخ الذي لا تعنينا تداخل شبكته الزمانية والمكانية كثيرا وتعقيد موضوعاته من الوصول معها إلى إعادة فهم وترتيب كامل له ووضعه ضمن إطار فلسفي ومنهج سوسيوتاريخي أفضل مما هو فيه الآن (محمد أركون، 1990: 36).

ربما تكون الإشكالية الأساسية في هذا البحث هو كيف يمكن أن نحدد الإطار الذي تمت من خلاله كل تلك البحوث من طرف الغربيين خاصة وأنها متنوعة ومتشعبة ومتداخلة ويصعب وضع ترتيب زمني وموضوعي لها، لهذا قد يكون من الأجدى التركيز أولا على أهم توجهات المستشرقين الأولية في التعامل مع هذا التاريخ وأيضا التركيز على الأعمال التي تمت حول أهم القضايا في هذا التاريخ.

قد تكون البدايات هي الأسهل والأوضح في أعمال المستشرقين والتي تركزت بشكل أساسي على دراسة المصادر في التاريخ الإسلامي (القرآن، السنة، السيرة، الفقه، التاريخ، الجغرافيا، التراجم ...الخ) ثم أهم المشكلات حول هذه المصادر والتي نشأت عنها كثير من النظريات والمذاهب مثل الخلاف العقدي والفقهي والسياسي(Stephen Humphreys, 1995: 103). قد يكون هذا هو الجزء الأكبر في هذه الأعمال لكن هناك أيضا جانب حيوي جلب نظر المستشرقين والذي جعلهم يركزون بشكل أساسي على دراسة أهم التحولات والظواهر الإجتماعية والسياسية والإقتصادية في العالم الإسلامي (مثلا: معاهدة اليهود، فتنة عثمان، مقتل علي، ظهور الدولة العباسية، علاقة العلماء والقضاة بالأنظمة السياسية والسلطة عامة، أهل الذمة ودورهم في العالم الإسلامي، مسألة تغيير الدين ومفهوم الردة قديما وحديثا، مقتل الحلاج، ظاهرة إبن تيمية، الزكاة والنظام الضريبي في العهد المملوكي، النخبة والطبقات الدنيا في المجتمع الإسلامي....الخ)

لقد تمت دراسة المصادر في التاريخ الإسلامي من طرف الباحثين الغربيين دراسة وافية ودقيقة في جوانب كثيرة منه، وهذا النوع من العمل عند المستشرقين يبدو مهما جدا، لهذا فإن الدراسات فيه كثيرة وغنية وأصبحت هي الأخرى في حاجة إلى إلمام وتغطية، بل لقد بدأ كثير من الباحثين يولي أهمية كبيرة لدراسة هذه الأعمال ومسحها قبل معالجة أي موضوع من موضوعات التاريخ الإسلامي نفسه كما هو الحال مع أعمال عملاقة مثل الموسوعة الإسلامية وتاريخ الأدب عند كارل بروكلمان وفوت سازكين وبعض الفهرسات والحوليات التي وضعت لترتيب أهم ما كتب حول الحديث والمخطوطات والقواميس العربية والفارسية وما تلاها من أعمال المتأخرين المتاثرة في مكتبات العالم والتي تم حصرها في كثير من دليل الفهرسة الذي يصدر عادة كل سنة أو أكثر عن كثير من هذه المكتبات والمتاحف في العالم خاصة فيما تعلق منها بالمخطوطات والذي مكن

كثيرا من الباحثين الإطلاع على أكبر عدد من المراجع حول مواضيع شتى في التاريخ الإسلامي كما نجد في عمل ستيفن هامفريز "التاريخ الإسلامي" الذي نجحت تغطيته في مسح أغلب ما كتبه علماء الغرب عن مواضيع شتى في التاريخ الإسلامي. ما يثير حقا في عمل ستيفن هامفريز هو ذلك الكم الهائل والفريد من المراجع والمصادر التي وظفها في هذا المؤلف.

قد يكون من الصعب علينا أن نحصى كل أعمال الغربيين حول مصادر التاريخ الإسلامي، لكننا سنحاول أن نقوم بتغطية شاملة لأهم ما كتب حول هذه المصادر ومشكلاتهم معها. لكن بلا شك فإن الجديد سيكون في إهتمام هذه الدراسات بأنواع أخرى حاول الغربيين توظيفها كمصادر للتاريخ الإسلامي لقراءة المجتمع الإسلامي في حقبة ما كإهتمامهم بدراسة المواثيق والعقود والعهود والعملات والجداريات والنقوش والطبوغرافيا والآثار وما تعلق بدراسة التقنية التي تم بها إنجاز كثير من الأعمال في العالم الإسلامي. بالإضافة إلى محاولة تصنيف جديدة لأبواب في التاريخ الإسلامي ظلت بلا شك مهملة أو متفرقة هنا وهناك بين شتى المراجع كالعلوم التي تهتم بالأرشفة أو علم القياس والأوزان أو الإيبغرافي الذي يهتم بدراسة القبور والتماثيل وكل ما هو مدون على حجر.

إذن وبإختصار فإن الجزء الأول في هذا العمل يقوم على دراسة المصادر الأم وما نتج عنها من مراجع وأدوات البحث عند الغربيين وأهم نتائجهم على هذه المصادر في التاريخ الإسلامي. الجانب الأكثر تعقيدا في هذا العمل هو تغطية الأعمال الغربية التي تناولت بعض المشكلات والظواهر في التاريخ الإسلامي والتي نجد أن أغلبها يركز على دراسة الأثر الإجتماعي والإقتصادي والسياسي للدين الإسلامي وعلاقته بواقع المسلمين في المجتمع الإسلامي قديما وحديثا.

3. التاريخ الإسلامي: تغطية ستيفن هامفريز

1.3 ستيفن هامفريز

يعتبر البروفيسور هامفريز واحدا من الباحثين المقتدرين القلائل في العصر الحديث ممن اهتموا بالتاريخ الإسلامي في أدق مراحله، خاصة في المرحلة الأولى منه وما تعلق برواية مصادره الأم (رواية القرآن والحديث) والذي يمثل في رأيه المرجعية الأساسية التي انطبعت في جميع جوانب التاريخ الإسلامي وليس فقط ما تعلق بالرواية التاريخية، وذلك بما قدمه هذا الباحث من دراسة عميقة حوله والتي تميزت بتغطية كبيرة لهذا التاريخ الكبير الذي تعامل معه بحذر وبدقة شديدين، لأنه يعتبره تاريخا أو تاريخا معقدا تتداخل شبكته الزمانية والمكانية بما يعقد من مهمة أي باحث وهو الأمر الذي جعله

يتوغل فيه بكل أناة وأمانة علمية، فهو لم يشأ أن يأخذه على عمومه، بل تناوله عبر أجزاء حيث اقتصر على بعض الفترات والمراحل الزمنية فيه. هذه الدقة وهذا التحديد هو الذي جعل بحوث هذا المستشرق تتميز بشكل عام بمصداقية كبيرة وتحظى باحترام كبير من قبل الباحثين والمؤرخين معا، للطريقة الذكية التي تعامل بها مع تاريخ مخيف وهائل كالتاريخ الإسلامي كما يحلو له أن يصفه دائما (Stephen Humphreys, 1995: 93).

قد يكون أيضا من الصعوبة بالنسبة لنا تتبع وإنصاف مثل هذا العمل الذي قام به هذا البروفيسور المتخصص خاصة والذي تميزت أطروحاته بمعالجات دقيقة حول التاريخ الإسلامي الذي انتقى موضوعاته بشكل مقنع وعملي، حيث اختار هذه الموضوعات بما يتناسب مع الدراسات الحديثة حولها، خاصة من جانب المستشرقين الذين يعرف مشاكلهم مع التاريخ الإسلامي و مصادره المعقدة مما جعل كتابه أشبه بمرجع شامل لأهم ما كتبه المستشرقون عن هذا التاريخ الشائك بموضوعاته والغني بمراجعه سواء الغث منها أو السمين، الموثوق منها أو المدلس في نسبته إلى أصحابه.

ما يثير حقا في عمل ستيفن هامفريز هو ذلك الكم الهائل والفريد من المراجع والمصادر التي وظفها هذا المؤلف في بحثه، بالإضافة إلى عنصر الحياد الذي يظهر بوضوح وهو يعالج أطروحات المستشرقين حول مواضيع شائكة جدا (ككتابة القرآن والحديث، وقضية المعاهدة مع اليهود، وفتنة عثمان، وولاء الفقهاء للدولة، وظاهرة ابن تيمية، ...الخ)، فقد كان يأتي على ذكر كل الآراء والنظريات دون أن يقحم رأيه أو فكره في أي موضوع من هذه المواضيع، وهذه ليست عادة المستشرقين من أمثاله. يمثل عمل هامفريز على العموم مساهمة متقدمة في حقل الدراسات التاريخية الإسلامية، ذلك أنه يقدم رؤية منهجية تحليلية له مختلفة عن النمطية الاستشراقية التي عادة ما تختزل النصوص الدينية وتخرجها من إطارها السياسي والعقائدي وبهذا يكون هامفريز قد تحرر نسبيا من الطروحات الاستشراقية الكلاسكية، حيث أشاد بعض المفكرين الإسلاميين بهذا المنحى النقدي الذي خرج من أطر الميول الوضعية التي تتميز بها الدرسات الغربية حول الإسلام للدخول في حوار معرفي صادق مع التاريخ الإسلامي بكل حيثياته، (أركون، 1990: 103).

ورغم أن هذه الدراسة تتميز بحس نقدي ومنهجي مختلف في طرحه إلا أن بعض الباحثين الإسلاميين مثل رضوان السيد والطيب بوعزة وغيرهم قد أبدوا نوعا من التحفظ المنهجي على بعض مناحي هذا العمل، خاصة فيما يتعلق بالنماذج التحليلية المعتمدة الدراسة المقارنة في الكتاب كالنموذج الماركسي أو نموذج فايبر ماكس وهو ما يعكس

تطبيقا غير دقيق على التجربة التاريخية الإسلامية خاصة على الصعيد التاريخي (الطيب بوعزة، 2015: 93).

ونظرا إلى أهمية هذه الدراسة التي قدمها هامفريز فقد تم اعتمادها أكاديميا في عدد واسع من جامعات العالم، خاصة في معاهد التاريخ والدرسات الإسلامية، وتأتي أهمية هذا المرجع في كونه يقدم حزمة من المناهج التحليلية في كتابة التاريخ الإسلامي ضمن سياقات مختلفة، داخلية وخارجية، كما أنه يعتبر عملا رائدا من حيث أصالة ومصداقية المصادر الإسلامية الأولى وعمليات التدوين المبكر وأثر كل ذلك في دراسة الطبيعة السياسية والاجتماعية للعالم الإسلامي (رضوان السيد، 2000: 148).

2.3 التاريخ الإسلامي: الإشكاليات والتحديات

أشار ستيفن هامفريز في مقدمة كتابه "التاريخ الإسلامي" إلى التحديات التي يمكن أن يواجهها كل من يتعامل مع مادة ضخمة ومتنوعة مثل مادة التاريخ الإسلامي، فذكر النواحي التقنية منها، كالتعدد اللغوي (يقصد به ما كتب أيضا باللغة الفارسية والتركية إلى جانب العربية) والذي يفرض على الباحث المقتدر الرجوع إلى كل تلك المراجع المتعددة اللغات لدراسة هذا التاريخ. بالإضافة إلى العدد الأكبر من النصوص التي مازالت عبارة عن مخطوطات غير محققة مما يجعل الصورة النهائية لهذا التاريخ غير ممكنة والتي لو تم تحقيقها فإنها قد تعدل كثيرا من الأفكار حول هذا التاريخ، أيضا أشار إلى سوء تنظيم المكتبات والأرشيف والتي رغم كل الجهود المبذولة من المتخصصين المعاصرين لا تزال طرق الوصول فيها إلى المراجع عملية صعبة ومعقدة، كل هذه التحديات لا تزال في نظره تشكل عقبات قد تعيق عن دراسة حقيقية لهذا التاريخ. ما هو أكثر أهمية، على أية حال، هو صعوبة إدراك واستيعاب موضوع البحث في هذا التاريخ ككل، فذلك في رأيه يمنع من ربط الأفكار فيه سوية أو تطوير حاسة واضحة لعدد واسع من المفاهيم لمواضيع مازالت غير مطورة إلى الآن من خلال هذا الحقل الكبير (Stephen Humphreys, 1995: 55).

هناك نقطتان رئيسيتان حرص المؤلف على عملهما: الأولى، أنه لا يوجد فصل يتضمن كل المراجع أو الإسهامات العلمية التي تتعلق بموضوع البحث في كل فصل، فهو لم يتمكن من ذكرها كلها أو تبويبها في عملية الإحالة، فبلا شك هناك بعض النقائص مع الأسف. لم يكن هدفه تغطية مثيرة أو سريعة ولكنه بالأحرى عمل على تقييم متوازن لوضعية المجال المدروس، وهذا الهدف أجبره على التركيز على الأعمال التي هي أكثر وضوحا والأقرب في طبيعتها إلى الموضوعات والمشكلات المطروحة في هذا الكتاب. أكثر من ذلك، فإنه قد راهن على أن القارئ الملح لا بد أن يكون قادرا على متابعة و استكمال

معلوماته إذا رغب من خلال تتبع الحواشي والفهرسة المرتبة لهذه الأعمال في آخر الكتاب.

ثانيا، حاول المؤلف أن يبني مقاربة استدلالية استنتاجية للأعمال العلمية التي أوردها في الكتاب، مع هدف بناءها أكثر من خلال الطريقة التي أنجزت بها. بعض النقائص ملحوظة ويجب أن تسجل، لكنه لا يرى أنها تشكل سقوطا كبيرا مع إمكانية أن تحل علميا في المستقبل (Stephen Humphreys, 1995: 44). لهذا لا بد أن تؤخذ في سياق عام للنقاط التي يدور حولها النقاش في هذا الكتاب والتي يظن أن القراء سيعملون معها عقلهم أكثر دون محاكمات قاسية.

انبثق كل فصل من الفصول الإثني عشر المعالجة في هذا الكتاب من مخطط خاص به والذي تم تأسيسه وفق منهج هو كالآتي:

1. تحديد مجال كبير من التساؤلات المطورة في كل فصل من خلال الإشكالية المناقشة فيه للوصول إلى أجوبة أعمق مما هي لدينا. فهذا الكتاب في الواقع متعلق فقط بقضية طرح تساؤلات وفرضيات جديدة حول التاريخ الإسلامي.

2. في تاريخ القرون الوسطى الإسلامية نحن فقراء في الأرشيف لكننا أغنياء في الوثائق. بالنسبة للجزء الأكبر منها بدأ المؤلف فقط بتمييز ودراسة تلك الوثائق المتكاثرة، حيث نجح في إلحاق جزء كبير منها داخل الجدول الرئيسي للبحث التاريخي الذي لا يزال يعتمد بشكل عميق على مصادر روائية وأدبية. لكن عملية التوثيق لاحقا انتقلت بسرعة من الهامش إلى مركز التفكير التاريخي عند المؤرخين، حيث أن المؤرخ الجدّي لم يعد يستطيع تجنّب هذا العمل الصعب وأصبح ملزما بتعلّم كيفية استعمال هذه الوثائق وتوظيفها عمليا في عملية التأريخ. كنتيجة لكل هذا، أصبحت الوثائق وعملية التوثيق كلها والمشاكل المحيطة بها في أغلب الأحيان تثير انتباهنا في صفحات الكتاب التالية، وفي ثلاثة فصول من الجزء الثاني (7، 9، 11) سنستكشف بعض المجموعات المهمة منها في التفاصيل الكبيرة لهذا الكتاب.

3. استكشاف استراتيجيات البحث من خلال هذه المراجع يجعل عمل المؤرخ أكثر نجاعة وفائدة. في كثير من الحالات تم عمل هذا من خلال تعقب خطوات هذه الأعمال والمؤلفات التاريخية عن طريق متخصصين إسلاميين. في حالات أخرى، تم رسم مناهج متطورة لمجالات أعلى في هذا التاريخ. أخيرا، يبدو أن طرح مقاربات جديدة لم تظهر بعد في الكتابات العلمية حول هذا التاريخ والتي لو تمت ستكون طريقة عملية أفضل، وهذا

بلا شك يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، كما أنه من الأحرى إيجاد تصميمات متقنة لعملية البحث في هذا التاريخ .

4. لتغطية وتقييم الدراسات الأدبية المتعلقة بالموضوع الرئيسي لكل فصل فقد بذل المؤلف جهدا خاصا لتضمين كتابه بأهم المراجع العربية والإيرانية والتركية والدراسات التي تمت عليها لاحقا، والتي نادرا ما تكون قد تمت مراجعتها أو ألحقت بالمنشورات الغربية التي تصدر بين الحين والحين فذلك يبدو عملا شاقا.

3.3 التاريخ الإسلامي: المصادر وأدوات البحث

1.3.3 المصادر وأدوات البحث

في دراسته للمصادر وآليات البحث عنها قدم ستيفن هامفريز مجموعة من الأدوات الأساسية التي انتجها البحث الغربي حول التاريخ الإسلامي والتي تمثلت في عدد من المراجع الأساسية التي أصبح يعتمد عليها الباحث في هذا التاريخ بشكل عملي والتي رصدها ضمن إطار الجهود الغربية في التعريف بهذا التاريخ.

الموسوعة الإسلامية: Encyclopedia of Islam

بالنسبة للغربيين تعتبر الموسوعة الإسلامية أهم وأشمل مرجع للدراسات الإسلامية وأداة أساسية للتعريف بكل جزئية فيه بشكل دقيق وموجز والتي عادة ما يكتب فيها متخصصين لهم باع وتمكن في الحيثية المراد التعريف بها، وهي جهد عملاق تعامل مع كل جوانب الحضارة الإسلامية بتوسع هائل بدأ من أصولها الأولى وحتي العصر الراهن، حيث أنها تركز على عالم المصطلحات والمفردات المؤسسة لكل علم وفن إلى جانب أهم المؤلفين والفاعلين داخل دائرة هذا التاريخ. تم الى الآن طبع ثلاث نسخ منها أغلبها متفرقة في المكتبات العالمية صدرت حسب التسلسل التاريخي الآتي: الطبعة الأولى (EI 1): أربع مجلدات مع ملحق طبعت بالإنجليزية والفرنسية والألمانية تم إنجازها ما بين (1913- 1938). الطبعة الجديدة (EI 2): عبارة عن خمس مجلدات كاملة مع ملحق بالحروف. إبتدأ العمل بها في سنة 1954، وضعت أساسا لتكون عبارة عن موسوعة مبسطة ومتطورة عن الموسوعة السابقة لكنها مع الوقت بدأت تزداد في الموضوعات المغطاة بفضل المساهمات اللامحدودة من أكفأ المشاركين والأكاديميين في العالم.

إلى جانب هذه الطبعات المتواصلة تم إنجاز موسوعة إسلامية مختصرة (SEI): طبعها كل من H.A.R. Gib و J.H. Kramers سنة (1953). هذه الموسوعة المختصرة

تحتوي على مقالات من الموسوعة الأم في الدين والقانون فقط مع قائمة بالمراجع وبعض التنقيحات والإضافات. (النسخة الألمانية: صدرت في سنة 1941).

دليل المستشرق: برتولد سبولر: Handbuch der Orientalistik: Bertold Spuler

وضع هذا الدليل ليزوّد الباحث بخلاصات موثقة ومصغّرة عن أهم ما أنجزه البحث الاستشراقي والمستشرقون حول التاريخ الإسلامي بجميع مواضيعه وفيه إشارات مختلفة جدا من ناحية المفاهيم والصياغات التي تمت حولها. قام برتولد سبولر بطبع (دليل المستشرق [HO]) في سنة 1952، وهو عبارة عن مختصرات ووصف موثق للغات والأدبيات والأديان والأنظمة القانونية والتاريخ السياسي لآسيا عموما. غالبية أجزائه تعاملت مع الموضوعات بشكل شامل وهو مؤسس على نمط البحث العام. هذا الدليل مرتب بشكل معقد جدا وأجزائه في العموم منظمة على شكل سلسلة تشتمل على المؤلف والعنوان معا. باختصار هو مقسم إلى أقسام ثم أجزاء ثم فصول ثم أعصاب (Fascicles) أو فروع.

أدوات الفهرسة: Bibliographic Tools

الملحق الإسلامي: بيرسون ومساعديه Index Islamic: J. D. Pearson:

يمثل هذا الملحق أهم وأشمل أدآة مرجعية قد تساعد الباحث في الوصول الى أكبر قدر من المراجع والذي أصدره بيرسون مع مجموعة من مساعديه. وهو ملحق يغطي كل ما كتب من مقالات أو كتب في أي مجال من مجالات الدراسات الإسلامية بكل اللغات الأوروبية ما بين 1905 الى غاية إصدار الكتاب. وقد تم أعداده بدقة وعناية وشمولية، كما أنه مرتب بشكل ذكي وعملي لكنه بلا شك لا يرقي الى الكمال فهو يحتوي على أخطاء ونقائص كما أن بعض مداخله مرتبة بشكل غريب. بالإضافة الى ان الملحق يفتقر الي عنصر هام، فإلى غاية 1976 لا يتضمن الملحق قائمة بالكتب أو المقالات الجديدة المنشورة باللغات الشرقية كالعربية أو الإيرانية أو الأردية أو التركية مما جعل الباحثين الغربيين لا يواكبون الجديد في هذا الملحق. لكن لتدارك هذا النقص ولمواكبة الجديد العلمي أيضا تم البدأ منذ 1976 في إصدار دورية كل أربعة أشهر تحتوي على جدول وقائمة بكل ما صدر من كتب أو مقالات في مجال الدراسات الإسلامية.

الصعوبة في التعامل مع مرجع كهذا تكمن في ضخامته فهو لا يفرق في قوائمه بين الأعمال المهمة والتافهة لكن يمكن للباحث أن يخرج بقائمة منتقاة من المراجع المهمة. قامت دار بريل التابعة لمكتبة جامعة ليدن في هولندا بطباعته على شكل أقراص

إلكترونية بحيث يمكن للباحث استعمال الكومبيوتر دون الرجوع إلى المجلدات والبحث فيها مما يوفر على الباحث عناء التصفح والبحث الشاق عادة بين المكتبات (Stephen Humphreys, 1995:155).

4.3 الدراسات التحليلية:

لقد حظيت المصادر العربية الكلاسكية للتاريخ العربي الإسلامي بدراسات عميقة من حيث مدى موثوقيتها وتحليل النتائج العامة لهذه الدراسات، والتي تركزت بشكل أساسي حول ظروف تدوينها وأصالتها العلمية، حيث يرى المؤلف أن الباحثين على اختلاف مشاربهم حول التاريخ الإسلامي كثيرا ما يشتكون من وضعية المصادر التي بين أيديهم، رغم تنوعها وثرائها الكبير، إلا أنهم من ناحية أخرى يعترفون بقوتها وقلة التحديات فيها مقارنة مع تلك التحديات التي تواجه الباحثين حول الإمبراطورية الرومانية مثلا أو بدايات العصور الوسطى في أوروبا عموما. إلا أن المشكل الحقيقي الذي يواجههم يكمن في طريقة استعمال هذا الإرث الواسع بشكل فعال وعملي. ولهذا حاول الباحث ستيفن هامفريز في هذا الفصل تقييم أهم الأعمال المنجزة لمواجهة هذا التحدي ووضع خطوط عريضة للوسائل المتاحة أمامه والتي تمكنه من تدابير ناجحة لعرض بحثه.

1.4.3 الرواية والنصوص الأدبية: Narrative and Literary Texts

أهم ما يمكن الاعتماد عليه في هذا المجال هو بعض الأعمال التي لا تزال رائدة فيه نذكر منها الأهم فالأهم:

تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان: Geschichte der Arabischen Litteratur Carl Brockelman :(1898): هو في الواقع ليس تاريخ لكنه ذخيرة فنية مشروحة عن المخطوطات العربية، رتّب على حسب المؤلف ونظّم عموما في ترتيب زمني. يعطينا عنّ كل مؤلف كبسولة من سيرته الذاتية، وأيضا يقدم قائمة قصيرة من الإشارات (مراجع وأعمال) لحياته. أما بالنسبة لبيبلوغرافيا هذا العمل فهي تشمل كلا من المخطوطات والنسخ المطبوعة (Stephen Humphreys, 1995:32).

تاريخ الكتابات العربية: فوت سيزكن: Geschichte der Arabischen Schrifttums (1967): Faut Sezgin هذا العمل هو محاولة موفقة لإكمال عمل كارل بروكلمان (تاريخ الأدب العربي)، وقد غطت الأجزاء الصادرة منه فقط الفترة الممتدة الى غاية 340 هجرية. ورغم أنها كانت محدودة إلا أنها تعاملت مع الجغرافيا والفلسفة والرسائل. هذا العمل اعتمد أساسا على دراسة واسعة للمخطوطات العربية. هذه الدراسة

ليست فقط عريضة بل إن تعليقات سيزكن اللغوية والتاريخية حول كل مجال مغطى هي أشمل وأغنى من عمل بروكلمان.

طبعة فوت سيزكن لا غنى عنها، فهو يزوّدنا بنظرة عامّة وشاملة عن المؤلفين والأعمال المعروفة، سواء كانت هذه محفوظة في مخطوطات مستقلة أو فقط مقتبسة من أعمال لمؤلفين تاليين. على أية حال، مداخلاته حول فترة الأمويين وبداية الدولة العباسية يجب أن ينظر إليها أنها مجرد تخمينات. هو يصرّ على استعمال الأصل الأول والنقل الدقيق للتاريخ الإسلامي المكتوب ويجب أن يقرآ ذلك مرتبطا بحججه ذات العلاقة بالحديث (Stephen Humphreys, 1995:35).

5.3 التاريخ الإسلامي: مشكلات البحث المعاصر

في الجزء الثاني من هذه الدراسة التي ركز فيها المؤلف في كل فصولها على تحديد المشكلات الأساسية للبحث والتي لم يدع فيها المؤلف أنها غطت كل مجالات التاريخ الإسلامي الوسيط، فهذا حسب رأيه يكاد يكون مستحيلا إنجازه بأي حال من الأحوال. لكنها تعاملت في سلسلة المواضيع المختارة فيها مع ما يتعلق بها من دراسات تاريخية حديثة وهذا هو العمل الأساسي في كل هذا الكتاب (Stephen Humphreys, 1995:225). كما تعاملت سائر الفصول الأخرى في هذا الجزء مع السياسات القديمة المنتهجة في أنماط الحكم الذي عرفته الدول أو الممالك الإسلامية، حيث ناقش كل فصل فيها الأبعاد المختلفة للموضوعات المطروقة فيها بما يلفت انتباه القارئ إلى التمايز الشكلي لمواد الموضوعات. وقد ركز هذا الجزء بشكل مستمر ودائم على المشكلات التي تواجه الباحثين المعاصرين في مجال الرواية النصية المرتبطة تحديدابالقرآن والسنة في العهد الإسلامي الأول، حيث قدم المؤلف مجموعة تساؤلات عن إمكانية استعمال هذه الرواية لتحليل السياق السياسي والسلطوي للأمة الأولى (الفصل الثالث).

في الفصل الرابع ناقش المؤلف فترة الدولة العباسية، حيث ركز بشكل كبير على رؤية وتفسيرات الباحثين المعاصرين للجدل الفكري والتاريخي الذي دار حول هذه المرحلة وظروف تشكل الدولة العباسية وما نتج عنها من طفرات في الحياة العامة آنذاك، مستشهدا بالنماذج الفكرية والأعمال التاريخية التي غطت هذه المرحلة المهمة من التاريخ العربي الإسلامي باعتبارها الفترة التي عرفت أعلى صور الإبداع والإنجاز للحضارة الإسلامية. وقد عاد المؤلف إلى مناقشة مصادر الرواية الإسلامية مجددا في الفصل الخامس والتي تشكل مرجعا أساسيا لمعرفتنا حول سياسات العالم الإسلامي ما بين القرن العاشر والخامس عشر ميلادي (Stephen Humphreys, 1995:244). فيما يتعلق بالفصل

السادس فقد ناقش المؤلف طبيعة الرموز السياسية المهمة والمعروفة في تاريخ المسلمين مع الوضع في الحسبان دور العقيدة أو الأيديولوجية في عملية الخلاف والصراع بين إيران والعراق بين القرن 10 و11 ميلادي. أما الفصل السابع فقد بحث فيه المؤلف المصادر الموجودة حول إعادة بناء جهاز الدولة في العصر الإسلامي الوسيط، وتأثير هذا الجهاز على المجتمع بشكل عام. تم اختيار العهد المملوكي بشكل مفضل وفوري لأن هناك كثير من النصوص والوثائق المتوفرة كمصادر عملية حول هذا النظام والذي يمكن من خلاله دراسة الإدارة في العصر الإسلامي الوسيط ككل (Stephen Humphreys, 1995:286).

الفصول الخمسة اللاحقة تنتمي إلى ما يعرف بالمجال الاجتماعي- الاقتصادي في التاريخ الإسلامي. فهذا المجال حيوي لأنه يتضمن ممارسة يومية فهو يعكس أغلب ما نفعله في الحياة اليومية وهذا ما انتقاه المؤلف بشكل ملح وقاس رغم أنه يبدو معقدا وصعبا، فهو يعالج مرحلة نفتقر إلى كثير من حيثيات واقعها لكن المؤلف خاض غمار البحث فيها بلا توان أو هروب، حيث بحث ستيفن هامفريز في الفصل الثامن طبيعة الأقسام الاجتماعية داخل بنية المجتمعات الإسلامية التي يبدو أنه قد درسها وخبرها جيدا، والذي قدم فيه مقاربة أنثروبولوجية عن صفات المجتمع العامة ودور العلماء والفقهاء في تحديد جوانب المجتمع آنذاك. كما لفت هذا الفصل الانتباه إلى الفهارس والمعاجم التي تمثل المراجع الأساسية عن المجتمع الإسلامي وهؤلاء العلماء، خاصة وأنها أهم ما يميز أدبيات الإسلام لثرائها وتنوعها. أما الفصل التاسع فقد جعله المؤلف لعرض الجانب الفكري المنتج من هؤلاء العلماء والفقهاء وتسآءل إلى أي مدى يمكن أن يمثل هذا خلاصة اجتماعية، فشكل الكتابة ومضامينها يمكن أن تحيل إلى المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في ذلك التاريخ (Stephen Humphreys, 1995:289). فيما يخص تاريخ المدن والعمران، فقد عرض المؤلف في فصله العاشر لإشكالية مفهوم المدينة الإسلامية، والجانب المنهجي المطروح في النصوص الأثرية والطبوغرافية.

أما الفصل الحادي عشر والثاني عشر فقد تركز حول دراسة الأقسام الاجتماعية التي كانت تحيط بالحياة الإسلامية والطبقات الأخرى من غير المسلمين والتي تم تهميش دورها في أغلب هذه النصوص. حيث تسآءل المؤلف عن أولئك الذين لا يستطيعون التكلم عن أنفسهم والذين كانوا مهمشين من طرف الفئات الأدبية. بالإضافة إلى المشكلات البيئية التي كان يواجهها المحيط الفيزيائي والنظام التقني الاجتماعي الذي خلقه الناس في مواجهة هذه التحديات، والتي جاءت عبارة عن اقتراحات وقراءات مفتوحة لمجرد النقاش وهي لا تشكل آراء نهائية في أي موضوع من هذه الموضوعات (Stephen Humphreys, 1995:302).

خاتمة:

تتلخص نتائج هذه الدراسة المتعلقة بجهود المؤرخ ستيفن هامفريز في دراسته المتعمقة حول مشكلات المصادر والتاريخ لعموم التاريخ الإسلامي في مجموعة من النقاط التالية:

رغم أن الكتاب الذي طرحه ستيفن هامفريز جاء بعنوان التاريخ الإسلامي: كإطار للبحث، إلا أنه لم ينحصر في التاريخ فقط ولكنه شمل كل التاريخ الإسلامي بكل فروعه وأقسامه وطبيعة مصادره المتنوعة.

حاول المؤلف أن يلتزم إلى حد كبير في عمله بالبعد عن التقييمات الفنية أو الرؤى الذاتية مكتفيا بالعرض العام للأطروحات التقليدية الأساسية والمعتد بها في البحث، مؤكدا باستمرار إلى أن بحثه هذا متعلق فقط بقضية طرح تساؤلات وفرضيات جديدة حول التاريخ الإسلامي.

فيما يتعلق بمسألة التدوين المبكر فهناك ميل واضح إلى أن المجتمع الإسلامي الأول قد عرف نوعا من الكتابة المبكرة وربما حتى قبلها بقليل والتي أيدها أخيرا الدرس الغربي الاستشراقي بشكل حاسم بعد سجال معرفي طويل.

ما يلاحظ على هذه الدراسة أنها اعتمدت في مقارباتها التحليلية ودراساتها المقارنة على النموذج الماركسي أو نموذج فايبر ماكس وهو ما يعكس ربما تطبيقا غير دقيق على التجربة التاريخية الإسلامية خاصة على الصعيد التاريخي.

على الرغم من أن هذا العمل اعتمد على مقاربة غربية للمصادر والمشكلات التي تخص التاريخ الإسلامي باعتباره موجها للدرس الغربي الاستشراقي، إلا أن نتائجه وأطروحاته تعكس طرحا علميا معاصرا يهم الباحث المسلم بشكل مباشر وحاسم وأيضا بما يخدم الرؤية الإسلامية للتاريخ الإسلامي بشكل صحيح ودقيق من خلال عملية التفكير الخارجي عنه وما ينبغي أن يوظفه البحث الإسلامي بقوة.

قائمة المراجع:

الأسد، ناصر الدين، (1988). مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط 7. بيروت: دار الجيل.

البلاذري، أحمد بن يحي، (1969). فتوح البلدان، ط 5. القاهرة: دار المعارف.

السيد، رضوان، (2000). الفكر الإسلامي المعاصر: نقد المنهج والتأويل، ط 1. بيروت: دار الكتاب العربي.

الطيب، بوعزة، (2015). المنهج السوسيولوجي في قراءة التاريخ الإسلامي، مجلة يتفكرون، العدد 6، ص 102-144.

بروكلمان، كارل، (1993). تاريخ الأدب العربي، ط 5. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سزكين، فوت (فؤاد)، (1991). تاريخ التاريخ العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، 10 أجزاء، المملكة العربية السعودية: منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود.

سعيد، إدوارد، الإستشراق، مؤسسة الأبحاث العربية، ط 2. بيروت، 1980.

توفيق، الطويل، (1985). في تاريخنا العربي الإسلامي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

حسان، حلاق، (د. ت). الأرشيف والوثائق والمخطوطات، بيروت: دار النهضة العربية.

شاخت، جوزيف وكلفورد لوزورث، (1978). تاريخ الإسلام، ترجمة حسين مؤنس، ج 2، عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

محمد أركون، (1991). الإسلام، أوروبا، الغرب: رهانات المعنى وإدارات الهيمنة، ترجمة هاشم صالح، بيروت: دار النهضة العربية.

محمد فؤاد عبد الباقي، (1994). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت: دار المعرفة.

محمد عابد الجابري، (1991). التاريخ والحداثة، ط 8. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

حسين، طه، (1990). في الشعر الجاهي، القاهرة: درا المعارف.

Abstracta Iranica, (1978) Supplément à studia Iranica, Leiden, E. J. Brill.

Afshar, Iraj, (1958) Bibliographie des catalogues des manuscrits persans. Publications de L'Université de Tehran.

'Ali, Abudulah, Yusuf, The Holy Qur'ân: Translation of the Meanings and the Commentary, Printing Complex, Al-Madîna al-Monawwara, 1410.A.H

Arnold, T., and A. Guillaume, eds. (1931) The Legacy of Islam, Oxford: Clarendon Press.

Ayoub, Mahmoud M, (1984) The Quran and Its interpreters, Vol. I, Albany: State University of New York Press.

Al-Azmeh, Aziz. (1981) Ibn Khaldun in Modern Scholarship: A Study in Orientalism. London: Third World Center for Research and Publishing .

Beaumont, Peter; Blake, and Wagstaff, J. M. (1976) The Midlle East: A Geographical Study. London and New York.

Behn, Wolfgang H. (1982) Islamic Book Review Index. Berlin: Adiyok.

(1989) .- ------Index Islamicus. 1665-1909. Millersport, PA: Adiyok.

Berque, J. and D. Chevallier. (1976) Les Arab par Leurs archives. Paris. Center National de la recherche scientifique .

Bosworth, C.E. (1967) Islamic Dynasties: A Chronological and Genealogical Handbook. Edinburgh University Press.

E. Tyan. Extract, (1999) Encyclopaedia of Islam CD-ROM Edition v. Koninklijke Brill NV, Leiden, the Nederland.

Fred. Denner, (1998) Narratives of Islamic Origins, Princeton Press.

Humphreys, R. Stephen, (1995) Islamic History: A Framework for Inquiry, London .

Patricia, Cron & Michael cook, (1977) Hagarism: The Making of Islamic World, Cambrige University.

Pearson, J.D., et al. (1977) Index Islamicus. London : Mansell.